# The dialectic of the relationship betweenthe aesthetic and the ethical

**Dr. Yaser Abdulraheem***

**(Received 3 / 4 / 2023. Accepted 8 / 10 / 2023)**

## □ ABSTRACT □

The problem of the relationship between beauty and ethics in the field of aesthetic thinking represents the deepest and most complex problems, and it explains the conflicting opinions and different statements we see about this relationship, and the schools and trends that have emerged from it that have reached the point of contradiction and dissonance.
This research seeks to try to understand and clarify this problem, as there are two trends struggling in the dialectic of the relationship between the aesthetic and the ethical. The first: represents Absolute Moralizing and the second: represents Aestheticism. The first current asserts that art is a subject of aesthetic judgment because beauty represents a special type of moral goodness, while the second current believes that moral judgments have absolutely no relation to art, and between these two currents there is A movement that takes a position of mediation or reconciliation between them.

**Keywords**: (beauty, ethics, goodness, aesthetics, art for art's sake, aesthetic thought, aesthetic schools)-

**Copyright** **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Assistant professor, Department of Arabic Language, University of Aleppo, Syria.**
**yaser85abd85@gmail.com**

# جدلية العلاقة بين الجمالي والأخلاقي

**د. ياسر عبد الرحيم***

**(تاريخ الإيداع 3 / 4 / 2023. قبل للنشر في 8 / 10 / 2023)**

## □ ملخّص □

تعد مشكلة العلاقة بين الجمال والأخلاق في مجال التفكير الجمالي من أعمق المشكلات وأعقدها، ويفسر ذلك ما نراه من آراء متضاربة وأقوال متباينة حول هذه العلاقة، وما نشأ عنها من مدارس واتجاهات وصلت إلى حدّ التضاد والتنافر.

ويسعى هذا البحث إلى محاولة فهم هذه الإشكالية وإيضاحها، فثمةَ تياران يتصارعان في جدليةِ العلاقة بينَ الجمالي والأخلاقي؛ الأول: يمثِّل الأخلاقية المطلقة **Absolute Moralizing** والثاني: يمثِّل الجمالية **Aestheticism**، والتيارُ الأول يؤكد أنَّ الفنَ موضوع للحكم الجمالي **Moral Judgment** لأنَّ الجمال يمثِّل نوعاً خاصَّاً منَ الخيرِ الأخلاقي، في حين أنَّ التيارَ الثاني يرى أنَّ الأحكامَ الأخلاقية لاعلاقةَ لها مطلقاً بالفن، وبين هذين التيارين يوجد تيارٌ يتخذُ موقفَ التوسطِ أو التوفيقِ بينهما.

**الكلمات المفتاحية:** (الجمال، الأخلاق، الخير، علم الجمال، الفن للفن، الفكر الجمالي، المدراس الجمالية).

**حقوق النشر** : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية ، جامعة حلب، سورية. yaser85abd85@gmail.com

## مقدمة:

يشكل الاهتمام بالجمال والأخلاق محوراً رئيساً من محاور التفكير الإنساني إذ يضرب بجذوره في أعماق تاريخ الفلسفة الجمالية، ويتمثل في محاولة الفكر الشرقي القديم تطويع الفن لكي يكون متسقاً مع الأخلاق والدين، أما عند اليونانيين فيتمثل من خلال الأنساق الفلسفية التي تركها أفلاطون وأرسطو وغيرهما. ثم استمر هذا الاهتمام لدى فلاسفة العصور الوسطى والعصور الحديثة الذين نهلوا من الآراء اليونانية، وأضافوا إليها أو حذفوا منها أو عارضوها بين الحين والآخر[1].

## أهمية البحث وأهدافه

وتكمن **أهمية البحث** في محاولة بحث إشكالية الجمالي والأخلاقي؛ التي هي محط خلاف منذ القدم وإلى وقتنا هذا، و**يهدف البحث** إلى تتبع هذه الظاهرة تاريخياً ودراستها.

أما **منهج البحث** فقد اتخذ من المنهج التاريخي منطلقاً إجرائياً يسعفه في الوقوف على جدلية العلاقة بين الجمالي والأخلاقي في الفكر الجمالي وتطوره التاريخي، فتصدى بالملاحظة والتحليل والمناقشة لهذه الطروحات وقراءتها قراءة جمالية مهتماً بمدى ارتباط هذه الأفكار بالمجتمع والثقافة.

وقد أفاد البحث من عدد من **الدراسات السابقة** التي قدمت إضاءات في سياقاتها الدرسية من مثل كتاب: (النقد الفني) لجيروم ستولنيتز، وكتاب: (ما هو الفن) لليف تولستوي، وكتاب: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق) لرمضان الصباغ، وكتاب: (الفن بين الدين والأخلاق) لمحمد عزيز نظمي سالم، فشكلت هذه الدراسات أساساً مهماً للبحث وبرزت معطياته فائدتها في متونه.

## مدخل:

ثمة تساؤلات حول صلة الفن بالأخلاق أو بين القيم الجمالية والقيم الأخلاقية، فهل للفن وظيفة أخلاقية؟ أو بمعنى آخر: هل يتعين أن تكون القيم الجمالية في خدمة الأخلاقية؟ أم على العكس من هذا؟ وكذلك ألا يمكن التوفيق بين الفضائل الأخلاقية والقيمة الجمالية في الفن؟

وهل يلتزم الفنان بقيم أخلاقية تبرز في عمله؟

وما مدى تأثير الفن في أخلاق المتذوق ومتلقي العمل الفني؟

وهل بالضرورة أن يتضمن العمل الفني عناصر أخرى غير جمالية مردّها الأخلاق؟

ذلك أنَّ الموقف الجمالي يدربنا على الانتباه إلى العمل لذاته فحسب، ففيه نهتم بالخصائص الجوهرية للعمل، وقيمتها بالنسبة إلى الإدراك الباطني، بينما الأخلاق تهتم بالعلاقات بين العمل وأشياء أخرى، ومن ثمّ تؤكد نتائج الفن، بمعنى آخر تأثيره في السلوك وفي النظم الأخرى في المجتمع، وأوضاع الحياة البشرية عامةً، فالأخلاق تعيد العمل إلى علاقاته المتبادلة التي أخرجه منها الاهتمام الجمالي، "وعلى ذلك فإنَّ علم الجمال والأخلاق يبحثان في خصائص مختلفة للموضوع الفني" [2].

---

[1] – **ينظر: الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 1998م، ص/5.**

[2] – **ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ترجمة: د. فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006م، ص/ 499.**

وقد بحث الفيلسوف الجمالي جان برتليمي مشكلة الفن والأخلاق في كتابه: "بحث في علم الجمال" ورأى أنَّ عنوان الفن وعلم الأخلاق يغطي ثلاث مشكلاتٍ غالباً ما تختلط فيما بينها، وهي في الحقيقة متميزة بعضها من بعضها الآخر على الرَّغم من تضامنها بوصفها وحدةً:

المشكلة الأولى: هل يكون للفن وظيفة أخلاقية؟ وهل يجب أن يكون علم الجمال خادماً لعلم الأخلاق؟ وهل من الجائز الجمع بين الدعوة الأخلاقية والجمال الفني؟

المشكلة الثانية: ترى أنَّ الفنان إنسانٌ، ويتعين أن يقوم بعمله بوصفه إنساناً، وأن يتابع الهدف الذي خلق لكل حياة بشرية، وهي تحقيق الخير الأخلاقي. فهل يساعد النشاط الإبداعي على تحقيق الخير أم لا؟ والضمير الفني يأتي من الضمير الأخلاقي، ومع ذلك لايكفي أن تكون فناناً جيداً لتكون رجلاً طيباً، بل أكثر من ذلك فإنَّ للإبداع الفني مطالب معينة بحيث يجوز أن يدفع المبدع إلى إهمال واجباته الأخرى، وهذا التضارب في الواجبات مصدر محنة يئنُّ منها الفنان.

المشكلة الثالثة: تتعلق بالمتلقي، فمادام الفن موجهاً للجمهور، فهل يكون تأثيره في أخلاقه حسناً أو رديئاً؟ وهل يعمل الفن على تصويب أخلاقنا أو إفسادها؟ وهل يكون الاستمتاع بالأعمال الفنية الجميلة عقبة في سبيل ممارسة الفضيلة أو إنقاذاً لها؟[3]

ومع ذلك فالأمر ليس بهذه البساطة، لأنَّ مشكلة العلاقة بين الجمال والأخلاق مشكلة مطروحة على بساط البحث منذ أفلاطون إلى الوقت الحاضر بين الفنانين والنقاد والفلاسفة، وثمة نزاع جوهري بين ما تتطلبه الأخلاق، وبين ما يتطلبه الجمال. إذْ تصرُّ الأخلاق على الارتباط بالخبرات والتجارب، بينما يؤكد الفن الاستقلالَ الذاتي لكلِّ تجربةٍ خاصةٍ، والإنسان الأخلاقي يتفحص الفعل المعطى في علاقته بالأفعال الأخرى، بينما المهتم بالجمال يغرق نفسه في التجربة المباشرة، وتؤكد الأخلاق عدم انتهاك حرمة الإنسان، في حين يؤكد الفن قدسية التجربة الجمالية، وإذْ تحاول الأخلاق جعل الحياة مستقيمة؛ فإنَّنا نجد الفن يؤكد عاطفية الحياة، وتهتم الأخلاق بالكل، بينما يهتم الفن بالجزء[4].

وعلى هذا فقد اختلفت الآراء حول ماهية الفن، فهل هو وقفٌ على التعبير عن البيئة الاجتماعية، أو هو تعبيرٌ عن ذات الفنان من خلال ما يستهدفه من قيمة جمالية فقط؟ بمعنى آخر هل هناك فنٌ للمجتمع وفنٌ للفن؟

والواقع أنَّ تحديد ماهية الفن أو وظيفته من خلال إحدى هاتين النزعتين شيء مبالغٌ فيه، فثمة علاقةٌ تلازم بين المبدع والمجتمع تكون حاضرة في إبداعه الفني سواء أكان رسماً أم كتابة؟ ومن ثمَّ يحاول أن يكون صادقاً فيها؛ لأنَّ ذلك يحدد مكانته في المجتمع؛ فالفنان يحسُّ بالمجتمع وبمشاكله، ويتأثرُ بمختلف عوامل الحياة والبيئة، ولا غرابةَ إذا كان عمله موجهاً إليه.

ومن جانب آخر فثمةَ مشكلةٌ تواجه الفنان والأديب على حدٍّ سواء، وهي مدى مايتمتعُ به من حرية في اختيار موضوعه الجمالي، ومن ثمَّ مدى ما يتمتعُ به من حريةٍ في تعبيرهِ بالشكلِ أو القالبِ الذي يتَضَمَّنَه هذا الموضوعُ الجمالي؛ فللفنان الحرية المطلقة في اختيار القالب الذي يتناسب مع مقدرته، بمعنى أنَّه ملتزمٌ أو مقيدٌ بدرجة تقبل المجتمع له، وهذا الالتزامُ نابعٌ من نفسِهِ، فهو إنسان يحسُّ كغيره من الناس؛ أي إنَّه أقدرُ منهم في الاحساس بالجمال وفي التعبير عن تلك الصور الجمالية بما يمتلك من قدرات إبداعية خلَّاقةٍ[5].

---

**[3] – ينظر: برتليمي، جان: (بحث في علم الجمال)، ترجمة: الدكتور أنور عبد العزيز، مراجعة: الدكتور نظمي لقوا، دار نهضة مصر، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة – نيويورك، 1970م، ص/ 483–484.**

**[4] – ينظر: الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/ 271–272.**

**[5] – ينظر: نظمي سالم، محمد عزيز: (الفن بين الدين والأخلاق)، قراءات في علم الجمال حول الإستطيقا النظرية والتطبيقية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995م، ص/6–7.**

وإذا كان الهدف لدى المدافعين عن الأخلاق ولدى المدافعين عن الفن هو وحدةُ الإنسانِ، فإنَّ الحياةَ يجبُ أنْ تفسحَ مكاناً لكلٍّ من الأخلاقِ والفنِ، وهو أمرٌ ليسَ سهلاً، فقد أكَّدَ رجالُ الأخلاقِ على السلْطَةِ النهائيةِ للأخلاقِ، واضعينَ الفن تحت توجيه القوة الاجتماعية، ومحددين نوع الموضوعات الممكنةِ له. في حين يدافعُ الفنانونَ عن الأهليةِ التَّامةِ للفنِ، وقدرته على التأثيرِ العقلي والانفعالي.

ونتيجةً لذلك فثمةَ تياران يتصارعان في جدليةِ العلاقة بينَ الجمالِ والأخلاقِ؛ الأول: يمثِّل الأخلاقية المطلقة **Absolute Moralizing** والثاني: يمثِّل الجمالية **Aestheticism**، والتيارُ الأول يؤكد أنَّ الفنَ موضوع للحكم الجمالي **Moral Judgment** لأنَّ الجمال يمثِّل نوعاً خاصَّاً منَ الخيرِ الأخلاقي، في حين أنَّ التيارَ الثاني يرى أنَّ الأحكامَ الأخلاقية لاعلاقةَ لها مطلقاً بالفن، وبين هذين التيارين يوجد تيارٌ يتخذُ موقفَ التوسطِ أو التوفيقِ بينهما، فيرى أنَّ الجماليَ والأخلاقيَ مختلفان، ولكنْ! يمكن أن تكون بينهما علاقة[6].

ففي الموقفِ الأول الذي يربطُ بينَ الأخلاقِ والجمالِ على أساس عُلُوِّ الأخلاق فوق الجمالِ، نجد، على سبيل المثال، أفلاطون[7] وتولستوي من أشدِ المدافعين عن فكرةِ أنَّ الحكمَ على الفن هو حكمٌ أخلاقيٌ، وهما يمثلان الرأيَ الأكثرَ تطرُّفَاً في جعلِ الأمرِ الأخلاقي هو المحدِّدُ لمستوى العمل الفني ومن ثمَّ الحكمِ عليهِ.

أمَّا الموقفُ الثاني فيفصلُ فصلاً حادَّاً بينَ الحكمِ الجمالي وبينَ الحكمِ الأخلاقي، ويُمثِّله، على سبيل المثال، كروتشه، واسبنجران، وتيوفيل جوتييه، وشارل بودلير، وغوستاف فلوبير، وأوسكار وايلد، ويطلقُ على هذا التيار أحياناً مذهبَ الفن للفن، وأحياناً أخرى المذهبَ البرناسي، وقد ظهرت بوادر هذه الحركة في النصفِ الأول من القرن التاسعَ عشرَ، وتبلورت خصائصها في نصفه الثاني، ونشأت بوصفها رِدَّةُ فعلٍ ضدَ المذهب الأخلاقي في الفن من جهة، وضد الحركة الرومانتيكية التي تميزت بالتأكيد على الخيال والعاطفة وبالميل إلى تصوير الخبرات الذاتية من جهة أخرى[8].

وفي الموقف الثالث فهو موقف ضمني أو حيادي، وهو محاولة للتوفيق بين الاتجاهين، فلا يستطيع أيُّ اتجاه نكران وجود الآخر، وهو ما سيتضح في موقف أفلاطون وكانط وهيغل وكروتشه وبيري.

## أولاً- الربط بين الجمالي والأخلاقي:

بدأ التفسير الأخلاقي للفن في وقت مبكر جداً يكاد يكونُ متزامناً مع نشأته، وذلك من خلال ربط الفن بالدين، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال دراسة الحضارات القديمة في الصين ومصر وأسبرطة واليونان وغيرها، وكان الارتباط يبدأ عبر مصطلح الفن **ART** والعلاقة بين ما نسميه الآن بالفنون الجميلة والفنون التطبيقية، وأيضاً من خلال ارتباط الخير الجمالي بالخير الأخلاقي والقول: إنَّ الفن محاكاة لفعل أخلاقي أو تعبير عن مضامين ذات صبغة تربوية أو إرشادية[9].

وأشار دوركايم في الأشكال الأولية للدين إلى أنَّ الفن مرتبط بالدين، فالفن عند البدائيين مرتبطٌ بهم، كأن يقوم البدائي

---

**[6] – ينظر: الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/272-273.**

**[7] – عدَّ أفلاطون مؤسس التصور الأخلاقي في الفن، خاصة في محاورة الجمهورية كون أنَّ النظرية قد اكتملت على يديه.**

**[8] – لمزيد من التوسع ينظر:**

**– ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 499 ومابعد.**

**– الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/272-274.**

**–الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م، ص/75.**

**– نظمي سالم، محمد عزيز: (الفن بين الدين والأخلاق)، ص/26.**

**[9] – ينظر: الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/275.**

بطلاءٍ معينٍ وأنْ يزينَ وجهه بريشٍ أو يضع رؤوسَ حيوانات أو يرقصَ رقصات على دقات الطبول في حفلات الزواج والحفلات الدينية، وكأن يرسم رسوماً على جسمه أو لحاء الشجر تعبيراً عن مخاوفه وآماله وآلامه وعن البيئة المحيطة به أو يعتمل فيها من رهبة فزع الطبيعة والحيوانات المفترسة ومن إيماء بالسحر الذي يمثل جانباً كبيراً في وجدان البدائي القائم، ولهذا فإنَّ الفن كان أكثر ارتباطاً بالأديان البدائية في صورتها الوثنية وحتى المتأخرة، إذ كان الوثنيون يعبدون أصناماً[10].

وقد شهدت بعض العصور تباعداً واضحاً بين القيم الفنية وبين القيم الدينية والعرف الاجتماعي السائد، فهل يعني ذلك أنّه في تلك العصور توقَّفَ معينُ الفنِ عن الإبداع والخصوبة؟

والإجابة عن هذا التساؤل وبطريقة حاسمة تضع النِقَاطَ فوق الأحرف لتبرزَ جانباً أساسياً، وهو أنَّ الفنون بما تتضمن من قيم ومعايير جمالية تعرضت لنزعات واتجاهات متغيرة، بعضها يستمد قوامه من المعتقد الديني، وبعضها يستمد أصوله من غايةٍ نفعيةٍ أو أخلاقيةٍ أو متطلبات أيديولوجية أو سياسية معينة؛ "فأصبح لدينا فنون خالصة وفنون مشوبة بالتيارات والنزعات الدينية أو غيرها، فإن كان الفن يصدر عن الحساسية الجمالية؛ فإنَّه قد يعبر عن بعض المشاعر الدينية باعتبار أنَّ الفن منذُ القدم وسيلة اتصال فعَّال ومؤثر في الجماهير، لذا يغلب على الفن الصِبغة القدسية المعبرة عن الروح أو النزعة الدينية في المجتمع"[11].

وكان أولُ مَنْ نَظَّرَ في مسألةِ العلاقة بينَ الجمالي والأخلاقي هم اليونانُ[12]، فربطوا بين القيم الكبرى الثلاث ( الحقُّ والخيرُ والجمالُ)، وكانت الفنون في المجتمع الأثيني قوة اجتماعية لها تأثيرها الواضح؛ فلم يضعوا حدَّاً فاصلاً للتمييز بين الفنون الجميلة والفنون النافعة، بل كان كان من الأدب والموسيقا والرقص مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة والتعليم، وكان الشعراء الكلاسيكيون مثل: هوميروس وهزيود مصدرين للإيمان الأخلاقي والديني[13].

ويبدو أنَّ أفلاطون قد قام بأول محاولة نقدية للفن من وجهة نظرٍ أخلاقيةٍ في تاريخ الفكر الإنساني، فأشارَ إلى وجود تأثيرٍ ضارٍّ للفن[14]، وربطَ بين الخير والجمال على أساس أنَّ النظامَ والتناسبَ والانسجامَ هي الأسباب الأولى لجمال الأشياء، وهي في الوقت نفسه مبعثُ الخيرِ في الأفعال الخَيِّرةِ، فالالتقاء بينَ الجمال الأقصى والخير الأقصى يكون عن طريق الاتحاد[15]، وكان قد تأثر بآراء أستاذه سقراط الذي رأى أنَّ الحقيقية الجمالية قائمةٌ على الفضيلةِ، وأنَّ الشاعرَ الحقيقي هو الشاعرُ الأخلاقي، فالإنسان الرَّائعُ في نظره هو الذي يتميزُ بحسن الخُلق، ولايكون ذلك إلا إذا كان فَاضِلاً وجميلَ الجسمِ، عندها يكون إنساناً مثالياً[16].

وقد كانت مناقشة الجمال في محاورة فليبوس كما في غيرها من المحاورات ناشئةٌ عن مناقشة أفلاطون للمسائل الكبرى

---

**[10] – ينظر: نظمي سالم، محمد عزيز: (الفن بين الدين والأخلاق)، ص/ 4-5.**

**[11] – المرجع نفسه، ص/ 15-16.**

**[12] - ينظر: تولستوي، ليف: (ماهو الفن؟) ترجمة: الدكتور محمد عبدو النجاري، دار الحصاد، دمشق، 1991م، ص/ 79 وما بعد.**

**[13] – ينظر: ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 505- 506.**

**[14] – ينظر: هاوزر، أرنولد: (الفن والمجتمع عبر التاريخ)، ترجمة: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م، (120/1) وينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/12 ومابعد.**

**[15] – هويسمان ، دينس: (علم الجمال الأستاطيقا) ترجمة: أميرة حلمي مطر، مراجعة: أحمد فؤاد الأهواني، دار الكتب العربية، القاهرة،1959م، ص/ 18.**

**[16] – ينظر: زكارنة، هديل بسام: (المدخل في علم الجمال)، ص/ 20.**

وليس عن مناقشة الجمال ذاته، كما تحدَّث أفلاطون في المأدبة وفايدروس عن الجمال الطبيعي والعادات الجميلة للنفس، وعن المعارف الجميلة، وعندما ربط الرواقيون في أحد تعبيراتهم المشهورة بين الفن والجمال، فإنَّ السياق فضلاً عن الترجمة اللاتينية التي قدمها شيشرون "تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنَّهم لم يقصدوا بالجمال شيئاً سوى الخيرية الأخلاقية"[17].

وعلى ما سبق فقد رفض أفلاطون وجود الشعر الذي لايمجِّدُ فضائل الآلهة والناس الأخيار، بل إنَّهُ طرَدَ الفنانين[18] وعادى الفن الذي يساعد على الانحراف الأخلاقي للمجتمع، وعارضَ كلَّ ابتداع أو تجديد في الفن، ورأى أنَّ ذلك يؤدي إلى الانحلال والفوضى في مدينته الفاضلة، ومع ذلك لم ينكرْ أنَّ غايةَ الفنِ هي اللّذةُ، وإلّا لم يكن الفنُ فنّاً، بيدَ أنَّهُ أخضعَ هذه اللَّذةُ للتقويمِ الأخلاقي ووضعَ الوظيفةَ الثانية قبل الوظيفة الأولى[19].

وعلى الرَّغم ممَّا في فلسفة أفلاطون في الفن من حيثُ صلَتِها بالأخلاق منْ تطرفٍ، كونه كمَّمَ أفواهَ الفنانينَ وفرضَ قيوداً قاسيةً على التذوقِ الجمالي، وبتعبير جيروم ستولنيتز فإنَّ أفلاطون: "قد سلبنا بعْضَاً من أعزِّ قيمنا باسم الأخلاق ومصالح الدَّولة وهو تعبيرٌ لهُ وقعٌ مشؤومٌ على أُذنِ الإنسانِ الحديث"[20]، فعلى الرَّغم من هذا وذاك فقد أثَّرتْ نظريَّتَهُ كثيراً في كثيرٍ من الفلاسفةِ وعلماءِ الجمالِ في جانبٍ أو أكثر من جوانب العلاقةِ بين الفن والأخلاق.

فهذا أفلوطين ربطَ بينَ الجمالِ والخيرِ، ورأى أنَّ الخيرَ هو انعكاسٌ الجمال، فالجمال وجودٌ حقيقي، بينما القبحُ عبارةٌ عن شرٍّ أولي، ولذا فإنَّ تناقضَهُ يكون منذ البداية مع الخير والجمال، ورأى أنَّهُ من الوهلة الأولى تتكشف لنا وِحْدةُ الجمال– والخير، ووِحْدةُ القبح– والشر موحداً بين الخير والجمال؛ لأنَّهما يصدران عن مصدر واحد هو الطبيعة الإلهية[21]، فالجمال والخير متحدان كما أنَّ القبحَ والشرَ مرتبطان، وهو ينظر إلى الخير على أنَّهُ أسمى من الجمال؛ لأنَّهُ مبدأ الجمال[22].

وفي القرون الوسطى ارتبطَ الجمالُ بالأخلاق عبْرَ التصورِ الديني، فرأى القديس توما الأكويني أنَّ الجمالَ يشكِّلُ جزءاً مِنَ الخير، وربطَ بينَ الجمالِ والكمال[23]، وقد ترددت أصداء الفِكر اليونانية القديمة، والفِكر الوسيط في العصر الحديث، فعلى سبيل المثال، كان ليبنتز يرى أنَّ الجمالَ هو كمالُ المعرفةِ، وقد ردَّدَ الرأيَ ذاتَهُ بومجارتن، وهذا الرأيُ قد وجدَ صدى له عند كانط ولكنْ على أساسٍ صوري، فرأى كانط أنَّ الجميلَ رمزٌ للخيرِ الأخلاقي، وإنَّنا كثيراً ما نَصِفُ الأشياءَ الجميلةَ في الطبيعة أو في الفنِّ بصفات يبدو أنَّها تقوم على تصور الحُكْمِ الأخلاقي، كأنْ نقول عن "المباني أو الأشجارِ بأنَّها رائعةٌ أو ضخمةٌ، أو نَصِفُ الألوانَ بأنَّها بريئةٌ، أو متواضعةٌ، أو رقيقةٌ، وهذه لأنَّها تثيرُ فينا من المشاعرِ مايتشابه مع أحوالِ النفسِ التي تُثِيرُها الأحكام الأخلاقية"[24].

---

**[17] – الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/282– 283.**

**[18] – ينظر: ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 505.**

**[19] – ينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/20–21.**

**[20] – ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 509.**

**[21] – الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/ 283.**

**[22] – ينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/22، وينظر: مطر، أميرة حلمي: (فلسفة الجمال)، دار الثقافة، القاهرة، دون تاريخ، ص/ 89.**

**[23] – الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/ 283.**

**[24] – المرجع نفسه، ص/ 284.**

ونجد هَاربرتْ ريْد؛ وهو من مؤسسي علمِ الجمالِ، قد وحَّدَ بينَ الخيرية والجمالية، وجعل علمَ الأخلاقِ فَرعاً من فروعِ علمِ الجمال[25]. ورأى جُون ديوي أنَّ الفن لكي يتركَ آثاراً أخلاقية فليس من الضروري أن يجعلنا في حَضرةِ نظامٍ أخلاقي، بل قد تأتي آثاره الناجحة من خلال تناظرٍ لمفهومِ الجمالِ ومفهومِ الأخلاق، وقد ربطَ جورج سانتيانا بمفهومِ الجمال مفهومَ الخيرِ من خلالِ ربطِهِ بينَ الإحساسِ بالجمالِ والخيرِ، على أساس أنَّ الإحساسَ بالجمالِ إحساسٌ بوجودِ خيرٍ خالصٍ إيجابي تماماً، وأنَّ المثلَ الأَعلى لابدَّ أنْ يحققَ التوافقَ بينَ الفضيلة والجمال[26].

وكان الفيلسوف دونيس ديدرو يمجِّدُ العلاقةَ بينَ الجمالِ والأخلاقِ، ودعا إلى صبغ الرسمِ والشعرِ والفنِ عامة بالأخلاقِ، وفي القرن الثامن عشر سَرَتْ دعوةُ فصلِ الأخلاقِ عن الدِّينِ، وحاولَ بعضُهم فرضَ هذا الواقعُ على الفنِّ فرْضَاً، ومن هنا بالذات وُلدَ في الرسمِ ماسُمي بالرَّسمِ المُخَلَّق، بمعنى أنَّه دعا إلى القيم الأخلاقية، وكان جان باتيست غروز أهم ممثليه، وشجَّعَه على ذلك ديدرو بقوله: "فعلاً، غروز هو الرجل الذي أنتظره... فنوعُ فنِّهِ يعجبني! إنَّهُ الرَّسم الذي يتوجهُ إلى الأخلاقِ، فما أطولَ ماخُصِّصَتِ الريشةُ للشرِّ والفُجُور! وهَاهيَ الآن تُؤازرُ الشعرَ المأساوي لتَهزُنَا، وتُثَقِّفُنَا وتُصْلِحُنَا وتَدْعُونَا إلى الفضيلة! إلى الأمامِ يا صَديقي غُروز، وأكثرْ مِنْ علمِ الأخلاقِ في الرَّسم، ولا تَتَوَانَ"[27].

وكما كانَ أفلاطون صَارِمَاً في حُكْمِهِ على الفنونِ في القديمِ نجدُ في العصرِ الحديثِ الرِّوائي تولستوي الذي ذهبَ مَذْهَبَ أفلاطون في الربطِ بينَ الجمالي والأخلاقي، فَجَوْدة الفنِّ، عنده، هو تأثُيْرُه الأخلاقي والديني، ورأى أنَّ إدراكَ الجمالِ يُوحِّدُ بينَ البشرِ، وما يقوم به من دورٍ في تعزيزِ الإخاءِ الإنساني والتَماسِكِ الاجتماعي[28].

وكتاب تولستوي "ماهو الفن؟" صغيرُ الحجمِ ولكنَّهُ كما يقول مؤلفه في ختامه ثمرة خمس عشرة سنة من التأمل والتفكير، كان يبدأ الكتابة فيه ثم ينقطع عنها حين يجد فِكَرَه غامضة، ثم يعود إليها حيناً تلو حين، فلما أنهاه توسم فيه عملاً يوضح رسالة الفن الحقيقية، ويجعله يتنكب عن الطريق الضال الذي يسلكه كما يرى[29].

وقد نقدت نظرية تولستوي هذه نقداً حاداً من قبل الفيلسوف جيروم ستولنيتز في كتابه النقد الفني، يقول: "إنَّ كتاب "ماهو الفن؟" سيظل واحداً من أكثر الكتب غرابة في تاريخ علم الجمال والأخلاق، فاتجاهه خاطئ إلى أبعد حدٍّ في استبعاده للقيم الجمالية للفن، ومبالغته في قيمته الأخلاقية. ومع ذلك فهو وصية عجوز حالم أشبه بالقديس، يدعو إلى مجتمع فاضل للجميع"[30].

ومِنْ ثَمَّ جاءَ الناقدُ الفرنسي فردنياند برونتير فسارَ سيرَ أفلاطون وتولستوي، فالفنُّ، عنده، خادمٌ للأخلاق، وقد نَقلَ عنهُ شارل لالو قوله: "إنَّ هناك في كلِّ صيغة وفي كلِّ نوعٍ من أنواعِ الفنون مبدأً أو جرثومةً خافية تدعو ضد الأخلاق، لاحظْ أنِّي لا أُحَدِّثُكَ هنا عنِ الأنواع المُنْحطَّة من الفنون، عنِ الأغنية أو كونشرتو المقهى مثلاً، أو عن التمثيلية الإباحية أو الرقص، بلْ إنَّي أُحَدِّثُك عنِ الفنِّ العظيم.. عن أعظم الفنون، وأقول: إنَّ هناك جرثومة لا أخلاقية تنمو دائماً في الفنِّ العظيم، على أنَّ هذه اللاأخلاقية موجودة في قلب مبدأ الفنِّ ذاتِهِ"[31].

---

**[25] – ينظر: نظمي سالم، محمد عزيز: (الفن بين الدين والأخلاق)، ص/ 22–23.**

**[26] – الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/ 284– 285.**

**[27] – يشار، أندريه: (النقد الجمالي)، ترجمة: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، 1974م، ص/ 74–75، وينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/23–24.**

**[28] – تولستوي، ليف: (ما هو الفن؟) ترجمة: الدكتور محمد عبدو النجاري، دار الحصاد، دمشق، 1991م، ينظر الصفحات: 226،71–228، 256–259.**

**[29] - ينظر: اليافي، عبد الكريم: (بدائع الحكمة: فصول في علم الجمال وفلسفة الفن)، ص/294- 295.**

**[30] - ينظر: ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 514 وما بعد.**

**[31] – برتليمي، جان: (بحث في علم الجمال)، ص/485، 509–510.**

وموقف الفيلسوف جان ماري غويو واضح في ربط الجمال بالأخلاق فهما شيءٌ واحدٌ في رأيه[32]، والوحدة بين الخير والجمال واضحة في ميدان العواطف: فالعطف والشفقة وكلّ هذه المشاعر جميلة وخيِّرة معاً، يقول: "لذلك يمكن أن يعدَّ الانفعال الفني متفرعاً عن الانفعال الأخلاقي، أليس المجتمع هو الذي أوجد الفن؟ ألا يشترط الفن قَدْرَاً من المشاركة في آلام الآخرين وأفراحهم؟ نستطيع أن نقول على وجه التقريب: يكون الإنسان أخلاقياً على قدر ما يستطيع أن يعاني بعمق انفعالاً فنياً"[33]. وكلما كانت المشاعر الأخلاقية عالية كانت إثارتها في أنفس الناس صعبة على الفنان، ولا سيما إبقاؤها في أنفسهم مدة طويلة، أما العواطف العادية كالحب الجنسي والانتقام فإثارتها أسهل، ولذلك كان الفن أحفل بها ولا سيما الفن الشعبي[34]، ومن هنا فقد رفض غويو مذهب الفن للفن كونه خارج خضم الحياة، وهو في هامشها لذلك عارضه[35]؛ فغاية الفن الحقيقية هي الحياة هي الواقع بتعبير غويو[36].

## ثانياً– الفصل بين الجمالي والأخلاقي(نظرية الفن للفن):

لاشكَّ في أنَّنا سمعنا من قبل عبارةَ الفنِّ لأجلِ الفن، هذه العبارةُ كانت قد أُستخدمت لأول مرة في بداية القرن التاسع عشر وتبلورت خصائصها في نصفه الثاني، وكانت تلخص بإيجاز ذلك المفهوم الذي سيطر على قَدْرٍ كبيرٍ من علمِ الجمال الحديث، وهو مفهوم التنَزُّه الجمالي[37]، وعلى هذا فلم تكنْ العلاقة بين الجمالي والأخلاقي على النحو المعروض فيما سبق إلا جانباً واحداً من جوانب الحقيقة، أمَّا الجانبُ الآخر فيَتَمثل في الانفصال بين الجمال والأخلاق، أو القطيعة بين التقويم والتفسير الجماليين من جهة، والتقويم الأخلاقي من جهة أخرى، وتمثَّلَ هذا بشكلٍ حادٍ في ظهور حركة أطلقَها أولاً شعراء المذهب البرناسي، ونشأت بوصفِها رِدة فعل ضد المذهب الأخلاقي في الفن، وبوصفها رد فعل أيضاً ضد الحركة الرومانتيكية التي تميزت بالتأكيد على الخيال والعاطفة والميل إلى تصوير الخبرات الذاتية[38].

إنَّ شعار الفنّ لأجل الفن أو الفن للفن يرى أنَّ العمل الفني وُجِدَ ليقدرَ لذاته، لا لأي غَرَض آخر. ومن هنا فهو يمثل احتجاجاً على أولئك الذين يجعلون الفنَّ خادماً لهدف آخر، وهو موجه ضد الأخلاق، مثل أفلاطون وتولستوي؛ مِمَن أكَّد النتائجَ النفسية والاجتماعية للفن، وهو يعلن تحرر الفن من النزعة الإرشادية والدعاية، ويؤكد أوسكار وايلد (1856–1900) أنَّ معاييرَ حكمنا على الإنتاج الأدبي لا يقوم على أسس أخلاقية، وإنما على قيم جمالية، فليست هناك كتب أخلاقية وكتب لا أخلاقية، فالكتب إما جميلة التأليف وإما رديئته، ولم يكتف بذلك وإنما جعل الاعتبارات الجمالية لها الأسبقية على الاعتبارات الأخلاقية، بل جعل القيم الفنية حقيقية أكثر من القيم الأخلاقية، وهو بهذا يحط من القيم الأخلاقية، ويعدها عدواً للفن، وهو بهذا صريح جداً في فصل الفن عن الأخلاق[39]، وهذا الشعار أيضاً ردُّ فعلٍ على مَنْ يعيبون على الفنِّ كونه عديم الفائدة، ويتساءَل جيروم ستولنيتز: فلماذا يكون الفنُّ مرغوباً فيه لأجل شيء، إذا كان مرغوباً فيه لذاته؟ فشعارُ الفنّ لأجلِ الفن كانت صيحة فنانين ثاروا على الروح التجارية في عصرهم، ووضعوا

---

**[32] - ينظر: غويو، جان ماري: (مسائل فلسفة الفن المعاصرة)، ترجمة: سامي الدروبي، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، 1948م، ص/44.**

**[33] - غويو، جان ماري: (مسائل فلسفة الفن المعاصرة)، ص/64.**

**[34] - المرجع نفسه والصفحة.**

**[35] - ينظر: اليافي، عبد الكريم: (بدائع الحكمة: فصول في علم الجمال وفلسفة الفن)، ص/271.**

**[36] - ينظر: غويو، جان ماري: (مسائل فلسفة الفن المعاصرة)، ص/ 49، 52.**

**[37] – ينظر: ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 521.**

**[38] – ينظر: الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/ 307. وينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/ 45.**

**[39] – ينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/61.**

النشاط الوحيد الذي بدا في نظرهم ذا معنى – ألا وهو الاستمتاع المباشر المكتفي بذاته بالقيمة الجمالية، وبذا سخروا من فكرة عدم منفعة الفن، يقول جوتييه: "إنَّ الفنَّ حريةٌ، وترفٌ، وإثمارٌ، وازدهارٌ للروح المتحررة من الشواغلِ العلمية، والتصويرِ والنحتِ والموسيقى لاتخدم شيئاً على الاطلاق"[40].

فهذا الشعار يساعد على إعادة التوازن الذي أخلَّ به أفلاطون وتولستوي؛ فالاصرار على أنَّ الفنون لاتخدم شيئاً على الإطلاق هو تصحيح للاعتقاد بأنَّ الفن هو أداة مفيدة للإصلاح الأخلاقي، وهو ما يؤدي إلى عودة انتباهنا إلى القيمة الكامنة للفن الجميل، يقول جيروم ستولنيتز: "وإلى هذا الحد نستطيع أن نعدَّ الفنَّ لأجل الفنِّ دفاعاً عن التجربة الجمالية في الفنِّ، غير أنَّ شعار الفنّ لأجل الفن أصبح يعني أكثر من ذلك، إذ أصبح يدل على طريقة كاملة في الحياة، وعند هذه النقطة يصبح نظرية من النظريات التي تندرج تحت موضوع الفن والأخلاق"[41].

وتؤكد هذه النظرية محبتها للجمال، سواء أكان هذا الجمال يتمثل في الفنون أم في العالم المحيط بنا، ولكنْ! محبة الجمال بهذا المعنى كان موجوداً قبل ظهور هذا الشعار؛ أي قبل القرن التاسع عشر، بيد أنَّ ما يميز حبها للجمال من غيرها هو أنَّها جعلت القيمة الجمالية أهم وأسمى من أي قيمة أخرى، سواء أكانت أخلاقية أم دينية أم فلسفية[42]؟

ذلك أنَّ الفن ليس له وظيفة أو هدف أو غاية محددة، بل هو غاية في ذاته[43]، وهو الجمال الخالص، فالجمالُ عالمٌ مستقل والأديب يهتم بالجمال فحسب، ولا ينبغي له أن يجعل الأدب وسيلة لعرض المشكلات أو توجيه الناس وتعليمهم ونحو ذلك؛ لأنَّ الأدبَ غاية بنفسه.

ومجمل هذا المذهب أنَّ القيمة الجمالية بعيدة تمامَ البعدِ عن الخير، فإن اتجه الفنان إلى التعبير عن نزعات إنسانية عامة وتسامى في هذا التعبير بما يتفق وقواعد الأخلاق؛ فيتعين علينا أن نفهم أنَّ الأخلاق لاتفرض قواعدها على الفنان، وليس ثمةَ التزامٌ أخلاقي في مجال العمل الفني[44].

وقد رفض أ.ف. جاريت أستاذ الفلسفة الجمالية في أكسفورد وكمبردج تعريف الجمال بأنَّه خير، فالجمال شيء والتهذيب شيء آخر، بلْ رفضَ الفكرة القائلة: إنَّ الجمالَ هو النفعُ أو الملاءمةُ أو الحقيقةُ أو الخيرُ[45]، ذاهباً في ذلك مذهب برادلي في محاضراته في جامعة أكسفورد، والتي جمعها في كتاب عنوانه: "الشعر من أجل الشعر"[46].

فلا يمكن إخضاع الفن لأي مذهب، كما يرى جان برتليمي، وإلا تدهور، ومن ثمَّ لا يمكنه التقيد بقواعد الأخلاق العامة، وإذا كان هدف الفنان تمثيل الحياة فكيف نبعد من الفن تصوير الشر؟ فهذا نفي للفن نفسه، وبهذا المعنى يصح القول: إنَّ الحقيقة الأخلاقية للفنان قائمة في قوة تصويره وفي حقيقته، بيد أنَّ وظيفة الفن هي صنع الجمال أكثر من تصوير الحياة، فنجاح الفنان مرهون بحرية تصرفه، وإذا بحث الفنان عن هدف أخلاقي؛ فإنَّه يقلل من قوته الشاعرية،

---

**[40] – ينظر: ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 521– 522.**

**[41] – ينظر: ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 522.**

**[42] – ينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/ 45.**

**[43] – ينظر: برتليمي، جان: (بحث في علم الجمال)، ص/460.**

**[44] – ينظر: نظمي سالم، محمد عزيز: (الفن بين الدين والأخلاق)، ص/ 24، نقلاً عن: كتاب (علم الجمال الاجتماعي) للمؤلف ذاته، والصادر عن دار المعارف عام 1983م، ص/48.**

**[45] – جاريت، أ.ف: (فلسفة الجمال)، ترجمة: عبد الحميد يونس ورمزي يسّى وعثمان نوية، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ، ص/ 68، 73، 98.**

**[46] – المرجع نفسه، ص/ 84.**

ويمكن أن يوصف عمله بالرديء، يقول فلوبير: "أخلاقية الجمال تنحصر في الجمال ذاته... وليست هناك للفن موضوعات جميلة وأخرى قبيحة مادام الأسلوب وحده طريقة مطلقة في رؤية الأشياء"، وبتعبير آخر نجد أنَّ الجمال يمتص الخير ويصبح علم الأخلاق تابعاً لعلم الجمال[47].

ويؤكد جان برتليمي صحة نظرية الفن للفن فيقول: "ويحسن بنا أن نؤكد أنَّ نظرية الفن للفن تحيط بوجدانية صحيحة للغاية، ومن هنا لايمكن مهاجمتها، فالفن في مجاله قيمة عليا، والفنان... يخدم المطلق الذي لا يقبل مساومة ما لصالح أيّ مطلق آخر، والشيء الذي يحدد نشاطه هو الجمال الذي يهدف الفنان في إطاره إلى أن ينتج عملاً، ولذا فهو لايستطيع أن يخضع حين يعمل إلا لمطالب عمله، مادام الخير الذي ينطوي عليه العمل هو الهدف الأخير الذي يجب وحده أن ينظم إنتاجه، فأنت تنكر عالم الفنان وحقيقة الفنان كفنان، إذا أنت فرضت عليه ضرورة اتباع هدف آخر، مهما يكن هذا الهدف رفيعاً، وعلى ذلك يصبح الضمير الأخلاقي هنا مرتبطاً... ولاشك أنَّ القانون الأخلاقي هنا لا يهدف مباشرة إلى التصوير أو الكتابة، ومع ذلك فهو يضع مبدأً أولياً يقول بأنَّ من الرديء أن تحارب ضميرك، فليس من واجب الطبيب–ضميراً– أن يكون طبيباً رديئاً، وليس من حق الفنان كذلك– ضميراً– أن يكون فناناً رديئاً، لأنَّ ضميره الفني يرغمه ألا يذنب ضد فنه، فإن هو بناه على هذا، خان حقيقته هو كفنان، وخان ضميره الفني ليعمل في إطار أخلاقي أو اجتماعي" ويكون قد تعدى على أحد الأشكال المقدسة للضمير الإنساني والضمير الأخلاقي نفسه بهذا القدر[48].

ويرى الناقد كلايف بلْ في رده على مشكلة الفن والأخلاق أنَّ "الفن فوق الأخلاق" فكل فن أخلاقي، لأنَّ الأعمال الفنية وسيلة للخير، فبمجرد الحكم على شيء بأنَّه عمل فني نكون قد حكمنا عليه بأنَّه ذو أهمية قصوى من الوجهة الأخلاقية، ونكون قد وضعناه بعيداً عن متناول يد الداعية الأخلاقي، "إنَّ الفنَّ خيرٌ لأنَّه يعلو بنا إلى حالة من النشوة أفضل بمراحل من كل ما يستطيع الداعية الأخلاقي البليد الحس أن يتصوره"[49].

**نظرية الفن الخالص:**

وإذا كان هذا قد تمثل بشكل حاد في ظهور مذهب الفنّ للفنّ في القرن التاسع عشر، فإنَّهُ يمكن أن نقتفي أثر نظرية الفن الخالص وإرهاصاتها من حيث المنشأة في مذاهب قديمة جداً، فقد أشار أفلاطون، رغم موقفه الجامع بين الجمالي والأخلاقي، إلى مفهوم اللذة الخالصة التي توجد في الرسوم والتصميمات التجريدية، وكذا أرسطو قال باللذة الخالصة التي يمكن استخلاصها من الاعجاب الشكلي للفن، ورأى أنَّ أعمال الفن تكون ذات قيمة في ذاتها تتعلق بها هي، والشاعر الروماني هوراس (65–8 ق.م) رأى أنَّ وظيفةَ الشعر والفن عموماً هي الإمتاع والتعليم.

وأشار القديس توما الإكويني في اللاهوت الكبير إلى أنَّ الأشياء الجميلة هي تلك التي تُسِّر أو تُبهج عندما تلاحظ، وأنَّ الجمال يشتمل على شروط منها: التكامل والتناسب والانسجام والوضوح المشتمل على الإضاءة واللون. فهذه العناصر تشير إلى أنَّ الموضوعات الجمالية يمكن الحكم عليها بوساطة المتعة المجردة بتأمل خواصها الحسية والشكلية تمييزاً لها من قيمتها الأخلاقية أو المعرفية.

بيدَ أنَّ هذه الارهاصات كانت تغوص وسطَ ركامٍ من الآراء الأخلاقية التي كانت تُوحِّد بين الحكم الجمالي والحكم

---

**[47] – ينظر: برتليمي، جان: (بحث في علم الجمال)، ص/ 461.**

**[48] – برتليمي، جان: (بحث في علم الجمال)، ص/ 461– 462.**

**[49] – ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 524.**

الأخلاقي عند الفلاسفة واللاهوتين ممن لم يستطيعوا إنكار أثر الفن الخالص رغم موقفهم الداعي إلى الجمع بين الموقف الجمالي والأخلاقي.

فالموقف الجمالي هو موقفٌ منزهٌ عن الغرض ومختلف عمّا هو عملي أو معرفي، ويشير إلى أنَّ الحكمَ الجمالي ليس حكماً أخلاقياً، وإلى أنَّ قيمة الأثر الفني بوصفه موضوعاً جمالياً ليست كقيمته في تهذيب القراءة أو المشاهدين، أو تحسين سجاياهم الأخلاقية التي قد تتأثر بعمل فني ما، ولذا فقد نشأت الجمالية في تناقضٍ حادٍّ مع الأحكام الأخلاقية في العصور الحديثة من أجل إعلاء قيمة الفن في ذاته، وذلك إذا كان الجمالَ لاعلاقةَ لهُ بالأخلاق[50].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ فِكَر مذهب الفن للفن انتشرت تأثراً بالمفاهيم الجمالية لعمانوئيل كانط (1724– 1804)، فكان لها الأثر الواضح في تبلور أسسها الجوهرية[51]، وقد كان الاهتمام بالفصل بين الجمال والأخلاق من الأمور التي شغلته؛ فأشار إلى أنَّ الجمالَ لذةٌ منزهةٌ عن الغرض، وأنَّ الفنَّ الجميل هو الذي حصل في جوهره على الصورة الغائية الخالصة عند الحكم عليه؛ أي الغائية من دون غاية، ويكون مستقلاً تماماً عن تصور الخير؛ لأنَّ الخير يستلزم غائية موضوعية، بمعنى استناد الموضوع إلى هدف محدد، وقد تكون الغائية الموضوعية خارجية: مثل المنفعة، أو باطنية مثل: كمال الموضوع، وحكم الذوق حكم جمالي، بمعنى أنّه يتركز على أسس ذاتية، ولا يمكن أن يكون تصوراً لهدف محدد، فالجميل غاية في ذاته، والحكم الجمالي بعيدٌ عن أيِّ غرض[52].

بمعنى أنَّ تذوقنا للجميل لابدَّ أن يقترن بضرب من الشعور بالرضا والارتياح، ولا يرتبط بأية غاية من غايات الطبيعة الإنسانية، فإذا حكمنا على قصر بأنَّهُ جميل؛ فمعنى ذلك أنَّهُ موضوع جمالي يروقنا من دون أن تكون لنا فيه أدنى مصلحة كالتمتع بسكنى مثل هذا القصر. ويرى أنَّ الجميلَ لا يمكن أن يروقنا من حيثُ مادتُهُ، بلْ هو يروقنا من حيثُ صورتُه، فالعالِم الطبيعي مثلاً حينما يتصور الفائدة الحقيقية لفاكهةٍ من الفواكه في العمل على انتشار النوع البشري، وصاحب البستان حينما يتصور قيمتها الاقتصادية في السوق لا يفكران بطبيعة الحال في هذه الفاكهة من الناحية الجمالية الصرفة، وإذا أردنا أن نعجب بتلك الفاكهة إعجاباً جمالياً صرفاً، لابدَّ أن نقف منها موقفَ الفنان الذي يجهل كلَّ ما قد يكون لها من فوائد، فلا شأن هنا لجمال الزهرة بوظيفتها الفسيولوجية، وأيضاً لامانع من أن يروقنا لحن الأغنية من دون أن تصاحبه أي كلمة[53].

---

**[50] – لمزيد من التوسع ينظر:**

**– وادي، علي شناوة: (فلسفة الفن وعلم الجمال)، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2011م، ص/ 46– 47.**

**– الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/ 307– 308.**

**– الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/ 45.**

**[51] – ينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/ 63.**

**[52] – لمزيد من التوسع ينظر:**

**– هويسمان. دنيس: (علم الجمال: الإستطيقا)، ص/37–38.**

**– أوفيسيانيكوف. م، وسمير نوفا. ز: ( موجز تاريخ النظريات الجمالية)، ص/256.**

**– غويو. جان ماري: ( مسائل فلسفة الفن المعاصرة)، ص/25– 26.**

**– مطر. أميرة حلمي: ( مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن)، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1994م. ص/52.**

**– الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/ 308– 309.**

**[53] – لمزيد من التوسع ينظر:**

**– الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/ 63– 64.**

ويذهب الدكتور جعفر الشكرجي إلى أنَّه إذا تأملنا الحركة الجمالية في ضوء هذه الفِكَر الكانطية فسنلاحظ بوضوح أثرها الكبير فيها، إلا أنَّها افترقت عنه عندما أعلن أنَّ استقلال الفن ونزاهته لا يمنع من أن يَنْسب إليه فائدةً اجتماعيةً أو تأثيراً أخلاقياً، ويرجح احتمالاً آخر، ولكنْ بصورةٍ أقل، هو أنَّ حركة الفنّ للفنّ قد تأثرت بالفلسفة الجمالية عند هيغل (1770– 1831) الذي استبعد أن تكون وظيفة الفن بث الوصايا والتعاليم الأخلاقية، ذلك لأنَّ استخدام الفن كوسيلة من وسائل التهذيب الأخلاقي هو انتهاك لصفته اللانهائية التي هي صفة جوهرية لديه، فما هو غاية في ذاته هو: وحده اللامتناهي، وما يُستخدم كوسيلة لغاية أخرى أبعد منه فهو تابع لغيره متحدد بشيء آخر غير ذاته، وبما أنَّ الفن محدد بذاته فهو غاية في ذاته[54].

## ثالثاً– الموقف المضمر أو الحيادي بين الجمالي والأخلاقي:

رأينا في تعقب الاتجاهات الرئيسة الناظرة في مفهوم طبيعة العلاقة بين الجمالي والأخلاقي، أنَّها تعطي نظرية تتبنى أحد الموقفين إما أن يكون الجمال مرتبطاً بالأخلاق، أو في الفصل بينهما، أو على الأقل ترجيح أحدهما على الآخر ترجيحاً تتفاوت شدته بتفاوت شدة اعتناق متبنيه له، أو باختلاف طبائع المتبنين وتنوع عقائدهم، وتباين ثقافتهم، وهذا بدوره يولد موقفاً ثالثاً، ذلك ما يمكن أن نسميه موقف الحياد، على الرغم من أن الحياد التام أمرٌ سيظل بحاجة إلى برهان، أو لنقل المذهب الذي يقرُّ كلَّ مذهب فيما ذهب إليه، محتجاً بصحة كليهما معاً، ليس لأنَّ خير الأمور أوساطها، بل لأن هذا هو الأصح فعلاً[55].

إنَّ تبني الاتجاه الأخلاقي في الجمال أو اتجاه الفن للفن في فهم طبيعة العلاقة بين الأخلاق والجمال لم يكن أبداً ليلغي الطرف الآخر، وإنْ كان ظاهر القول عند جُلِّ مَنْ تبنوا أياً من الاتجاهين يكاد يشير إلى خلاف ذلك، فهذه الاتجاهات الثلاثة قد سارت في ركب دروب الاتجاهات الفلسفية كلِّها، باسطة تربتها الخصبة للجميع على السواء.

ومن البديهي أنَّ أياً من الطرفين غير قادر وحده على تفسير إشكالية العلاقة بين الجمال والأخلاق فيما لو أغفل الطرف الآخر، وليس بدعاً من الخيال أن يقال: إنَّ التجادلَ الماثل بين الطرفين هو الوحيد القادر على تفسير هذه الإشكالية تفسيراً مقارباً أكثر لحقيقته، ذلك أنَّ كلاً من النظريتين إنما أضمرت في ذاتها بذرة الطرف الآخر، فالكثير ممن تبنوا أحدَ هذين الاتجاهين لم يجدوا بدَّاً من الاعتراف بالاتجاه الآخر، إنْ بالتلميح والتلويح، أو بالإفصاح والتصريح، وللتدليل على ذلك سنبحث بعض النماذج لكل واحد من الاتجاهين.

فأ**فلاطون**، الذي يعدُّه النقاد والمؤرخون من أبرز ممثلي اتجاه ربط الجمال بالأخلاق ومنظريه، وكثيراً ما قرأنا عباراته الواضحة الصريحة التي تؤكد دعوته إلى سيادة الأخلاق على الفن بكل قوة لم يستطع أن ينكر مفهوم اللذة الخالصة التي توجد في الرسوم والتصميمات التجريدية، فللفن غاية هي اللذة، وإلا لم يكن فنَّاً، بيد أنَّه تبعاً لاتجاهه أخضع هذه اللذة للتقويم الأخلاقي، ووضع الوظيفة الثانية فوق الوظيفة الأولى،[56] فلم يكن غافلاً عن قوة الفن وتأثيره[57].

---

**– إبراهيم ، زكريا: (كانت أو الفلسفة النقدية)، مكتبة مصر، الفجالة، دون تاريخ، ص/ 179–184.**

**[54] – الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/ 64. نقلاً عن: ستيس، ولتر: (فلسفة هيجل)، ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة، القاهرة، 1980م، ص/608.**

**[55] – ينظر: السيد أحمد، عزت: (تمهيد في علم الجمال)، ص/ 72– 73.**

**[56] – ينظر: الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/ 307– 308. وينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/ 45.**

**[57] – ينظر: ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 507.**

وهذا كانط الذي حاول في كتابه المعروف في علم الجمال ( نقد ملكة الحكم) أن يحرر علم الجمال من جميع القيود العقلية والعلمية والاجتماعية والأخلاقية، وأن يجرده تماماً من أيّة غاية سواء أكانت ذاتية أم موضوعية، وذلك حفاظاً على استقلالية التجربة الجمالية في وجه كلِّ المحاولات التي حرصت على مرِّ العصور على جعلها مجرد أداة تربوية أو أخلاقية أو مجرد متعة حسية؛ فناقش العلاقة بين الإنسان الفنان أو المهتم بالفن بالقيم الأخلاقية، فهل هذه علاقة ضرورية بحيث يمكن القول: إنَّ الفنان لابدَّ أن يتصف بالأخلاق الفاضلة أو لا؟ وقد حاول كانط أن يقف موقفاً متوسطاً بين هذين الرأيين بقوله: "وأُسلِّم الآن تلقائياً بأنَّ الاهتمام بجمال الفن ليس دليلاً إطلاقاً على أنَّ طبعَ الذهن يرتبط بالخير أو حتى أن يميل إليه، ولكنْ من جهة أخرى أؤكد على أنَّ الاهتمام المباشر بجمال الطبيعة هو دائماً علامة على النفس الخيرة، وحيث يكون هذا الاهتمام ناشئاً عن العادة، فإنَّه على الأقل دال على أنَّ مزاج النفس يميل نحو الشعور الأخلاقي الذي ينبغي أن يرتبط بسهولة مع تأمل الطبيعة"، وقد عرَّف الذوق بأنَّه: "ملكة نقدية نحكم بواسطتها على الأفكار الأخلاقية بلغة الحس" وهذا النص يظهر إصرار كانط على أنَّ مثال الجمال هو التعبير الحسي للأفكار الجمالية، هو بسبب التماثلات القائمة بين التجربة الجمالية والتجربة الأخلاقية، مهما أدى به في نهاية المطاف إلى إخضاع التجربة الأولى للتجربة الثانية، وجعل هذه التجربة الثانية لابدَّ منها لبلوغ التجربة الأولى.

فهو لم يرغب أن يرجع علم الجمال إلى حكم أخلاقي، فبيَّن أنَّ التجربة الجمالية تشكل حلقة اتصال بين التجربتين العلمية والأخلاقية، فلم ينظر إلى الظاهرة الجمالية لكونها ظاهرة أخلاقية[58].

وحاول هيغل الجمع بين المذهبين فلم ير مانعاً من أن يعبر العمل الفني عن القيم الأخلاقية إذا إلتزم بتحقيق ذلك الانسجام والاتفاق بين التجسيد الحسي (الشكل) والمضمون الروحي، وهو يؤيد الوصايا الأخلاقية في العمل الفني ضمنياً شرط ألّا تظهر بصورة جلية، ولا أن تقدم لنا كواجب ينبغي العمل به[59].

وبنديتو كروتشه الذي استبعد الأخلاق من الفن باسم المنطق، لم يستطع إنكار أثر الأخلاق، ولم يستبعد أن يشتمل الفن على الأخلاق على أساس أنَّ العالم العقلي يتضمن بضعه بعضاً، شريطة أن لا تدخل فيه تعسفياً وإنما تلقائياً[60].

وهذا الفيلسوف الأمريكي رالف بارتن بيري حاول أن يبين كيف يمكن تبرير التنظيم الأخلاقي للفن، ورأيه مشابه إلى حدٍّ بعيد برأي أفلاطون في الجمهورية، ومع ذلك فإنَّ القارىء الذي يشعر من روح التزمت القاسية عند أفلاطون سيجد على الأرجح أنَّ بيري أسهل استساغة[61]، يقول: "إنَّ الفن خاضع للنقد الأخلاقي؛ لأنَّ الأخلاق ليست أكثر ولا أقلَّ من القانون الذي يتحكم في المجال الكامل للاهتمامات، والذي يكون فيه الفن وكل شيء طيب آخر ممكناً".

ويعلق جيروم على كلام بيري، فيقول: "فالأخلاق تنظم كلَّ اهتمامات الإنسان، والفن واحد من هذه الاهتمامات، وهو لا يستطيع أن يطالب لنفسه بالحصانة من إشراف الأخلاق، أكثر مما يستطيع أي أهتمام آخر أن يطالب بمثل هذه الحصانة"، وفضلاً عن ذلك؛ فالفن كما أكَّد تولستوي لا يمكن ممارسته إلا عندما يلبي الحاجات غير الفنية، من

---

**[58] – ينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/ 78، 82، 84– 85**

**[59] – الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/89.**

**[60] – لمزيد من التوسع ينظر:**

**– كروتشه، بنديتو: (المجمل في فلسفة الفن)، ترجمة: سامي الدروبي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م، ص/31، 92.**

**– العشماوي، محمد زكي: (فلسفة الجمال في الفكر المعاصر)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص/ 21.**

**– الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/95.**

**[61] – ينظر: ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 533.**

اجتماعية واقتصادية، ولما كانت أوج النشاط هذه تحتاج إلى الأخلاق فلا بدَّ أن يكون الفن مديناً لها؛ فالفن ينتفع من الأخلاق، ومن ثمَّ عليه التزامات[62].

ويدرك بيري بالوضوح نفسه الذي يدرك به أنصار نظرية الفن لأجل الفن، أنَّ الحكم الجمالي لا يمكن إرجاعه إلى الحكم الأخلاقي، وأنَّ من الواجب عدم الخلط بين الاثنين، ومع ذلك فالداعية الأخلاقي لا يكون قد وقع في خلط إذا ما حكم على الفن على أسس أخلاقية[63].

ويرى أنَّ سمات الاهتمام الجمالي نفسها التي تجعله موافقاً أخلاقياً هي التي تفسر أخطاره الأخلاقية، إذْ يستطيع الاستمتاع الجمالي أن يقوي العاطفة الشريرة، ويستشهد بأفلاطون الذي بيَّن أن للموسيقا سحراً يدغدغ الصدر المتوحش، فتحط الرجل المتحضر إلى الوحشية، وكما توجد أنغام تحض الناس على الشجاعة والاعتدال توجد أنغام تحض الناس على الخلاعة أو الكسل أو الفجور الجنسي، يقول: "إنَّ الفن يمكن أن يستخدم في الخير والشر، وإنَّ الحافز الجمالي لا يمكن أن يوثق بأنَّه إذا ما ترك لنفسه سيأخذ جانب الملائكة، هذه الحقيقة تثير مسألة الضبط الاجتماعي للفن، ولا يمكن ضبطه ضبطاً فاعلاً كالعلم، كما أنَّ ضبطه ليس مميتاً له"[64].

وكان موقف جيروم ستولنيتز واضحاً في التوفيق بين التيارين في كتابه النقد الفني، حيث يقول: "وإنَّه لمن العقيم أن يحاول المرء استبعاد الأخلاق، وحين أقول ذلك، فإني لا أنكر الخير الكامن في التجربة الجمالية، بل إنَّني قد أكدت ذلك مراراً وتكراراً طوال الكتاب. وهذا لا يترتب عليه أن يكون الفن، كما قال "بلْ" بعيداً عن متناول يد الداعية الأخلاقي، ومن الجائز أنَّ أفلاطون وتولستوي أفرطا في تأكيد سيطرة الأخلاق على الحياة، وبذلك حرما التجربة من ثرائها وحيويتها، غير أنَّ محاولة إعفاء الفن والتجربة الجمالية من كلِّ إشراف أخلاقي إنما هي، ببساطة، استبدال تعصب بتعصب آخر"[65].

وأطلق على الرأي القائل بضرورة تأمل كل تجربة وتقديرها جمالياً فحسب اسم "مغالطة النزعة الجمالية"، ورأى أنَّ هناك مشكلات أخرى هي أهم من الطابع الجمالي للحياة، وكثيراً ما تثار أمامنا بإلحاح في هذا العالم الذي تتعرض فيه القيم البشرية دائماً للخطر، وبناء على هذا فإعلاء الطابع الجمالي فوق كل شيء آخر لا يقلُّ في ابتعاده عن المعقولية عن إعلاء اكتناز المال أو التقاليد الموروثة فوق كل شيء آخر.

ويضرب جيروم مثلاً بطلة إبسن هي هيدرا جابلر فرأى أنَّها شخصية مريضة مهتزة، فعندما حضت هذه البطلة لوفيرج العالم الشاب الذي ينتظره مستقبل باهر على قتل نفسه، قالت له: "أصغ إليَّ – هلاّ حاولت أن– أن تفعلها بطريقة جميلة"! وحينما علمت هيدرا جابلر بانتحاره كان أول ما خطر ببالها هو أن تسأل إن كان قد أطلق الرصاص على نفسه في المعبد؛ أي بطريقة جميلة. فهذا الموقف قد يوصف بالسخافة أو التصنع وربما يدعو إلى الاشمئزاز، وأياً كان الأمر، فمن الواضح أنَّ المطالبة بإعلاء الجمال فوق كل شيء آخر ليست دائماً أمراً مستحباً أو قادراً على تبرير ذاته، ويتابع جيروم قوله: "بل إننا لا نحتاج إلى الاستشهاد بالروايات الخيالية لايضاح رأينا، فلدينا شهادة أوسكار وايلد، ذلك المفكر الجمالي الذي كانت آراؤه تلخيصاً للقرن التاسع عشر وخاتمة له؛ فبعد أن أذلته محاكمته، وفي الوقت الذي كان

---

**[62] - ينظر: المرجع نفسه، ص/ 534**

**[63] – المرجع نفسه، ص/ 535.**

**[64] – بيري، رالف بارتن: (آفاق القيمة)، ترجمة: عبد المحسن عاطف سلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1968م، ص/ 460– 461. وينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/ 98– 99.**

**[65] – ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 525– 526.**

فيه في السجن، كتب نقداً شديداً لطريقته السابقة في الحياة، قال فيه: إنَّه كان في حياته السابقة يعامل الفن كما لو كان هو الحقيقة العليا، والحياة على أنَّها مجرد ضرب من الخيال. والحقُّ أنَّ أحداً لم يعرض ضحالة النزعة الجمالية واختلالها من حيث هي طريقة في الحياة بنفس القوة التي عرضها بها أوسكار وايلد"[66].

فنظرية الفن للفن تهدم نفسها بنفسها عندما تحمل على كل اهتمام بنتائج تجربتنا، فالساعي وراء الجمال لا يستطيع تحقيق قيمة من دون تخطيط دقيق إلا إذا كان حظه حسناً بدرجة ليس من حق إنسان أن يتوقعها، وحتى لو حدث ذلك فسوف يضطر إلى أن يهتم بالنتائج مثلما يهتم بالعناصر المباشرة، أو على حدٍّ تعبير باتر سيكون عليه أن يهتم "بثمار التجربة الجمالية مثلما يهتم بالتجربة"، وحتى لو ابتسمت الآلهة لهذا الساعي إلى الجمال، فسوف يتعرض لتلك التهمة الجادة التي وجهها تولستوي، ألا وهي أنَّه طفيلي على أولئك الذين يتعبون ويشقون لكي يجعلوا طريقته في الحياة ممكنة، يقول جيروم: "إنَّنا لا نستطيع أن نتطلع إلى المستقبل عندما يكون اهتمامنا جمالياً، وليس الدرس الذي نتعلمه من ذلك هو أنَّ من الواجب عدم اتخاذ وجهة النظر الجمالية بأية حال– كما يريد الداعية الأخلاقي الصارم– بل هو أن الموقف الجمالي ليس هو الموقف الوحيد الذي ينبغي أن يواجه المرء به العالم"[67].

تتضح مما تقدم ثلاثة اتجاهات تعبر عن وجودها في سياق جدلية العلاقة بين الجمالي والأخلاقي.

**1- تبعية الجمال للأخلاق:**

الاتجاه الأول يضرب جذوره في أعماق التاريخ، واكتمل على يدي أفلاطون ثم ظلَّ ينمو ويتفرع، ومَن جاء بعد أفلاطون سار السير ذاته، وهو اتجاه يجعل الجمال تابعاً للأخلاق، بمعنى أنَّ القيمة الجمالية أدنى من القيمة الأخلاقية، وتحتاج إليها كي تتمتع بالوجود، ومن ثمَّ فإنَّ الفن، بالضرورة، تناط به وظيفة أخلاقية من دونها يفقد أساسه وركيزته الجوهرية.

ولعلنا نذكر أنَّ أفلاطون قد انتقد الشعراء الكلاسيكيين لتصويرهم رذائل الآلهة، وهناك اتهامات مماثلة كانت توجه إلى الفنانيين على مرِّ العصور حتى يومنا هذا، ففي القرن الثامن عشر انتقد هوجارت الإباحيين والعاهرات، وفي القرن التاسع عشر حوكم فلوبير لأنَّ روايته "مدام بوفاري" أظهرت البطلة في علاقات زنى، وفي القرن العشرين هوجمت أفلام سينمائية نظراً إلى موضوعاتها الإباحية أو غير المكترثة بالمقدسات، فالأخلاق تنظر بقلق إلى النتائج، والحجة هنا هي تلك التي عرضها أفلاطون، وهي أنَّ مشاهدة هذه الأعمال لها نتائج ضارة؛ لأنَّ المعايير الأخلاقية للمدرِك تضعف، ومن ثمَّ يصبح سلوكه شرَّاً[68].

وبالمجمل فإنَّ هذه النزعة تفرض على الفن قيوداً صارمة باسم الأخلاق، وهذه القيود لا تفيد الفن ولا يزدهر في ظلها، فالتضييق على الموضوعات الفنية يحدُّ من خيال الفنان ويضعف قدرته الإبداعية، والمتذوق من ثمَّ سيشعر التذوق بالرتابة والضجر من تكرار الموضوعات، وهذا التيار يزعم أنَّه يرشد الناس إلى الخير بشكل مباشر وصريح؛ مما سيؤدي إلى جعل العمل الفني وعظياُ أخلاقياً ومن ثمَّ تتراجع قيمته الفنية.

لكنْ! من جهة أخرى لا يجب منع الفنان من التعبير عن أفكاره الأخلاقية في العمل الفني شرط أن تكون نابعة من داخله بصدق وتلقائية وبشكل مؤثر وغير مباشر، فإذا تحقق ذاك يمكن الحكم عليه حكماً قائماً على أسس جمالية خالصة[69].

---

**[66] - المرجع نفسه، ص/ 526- 527.**

**[67] - ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 527.**

**[68] - المرجع نفسه، ص/ 527- 528.**

**[69] - ينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/ 35- 37.**

**2- فصل الجمال عن الأخلاق:**

أما الاتجاه الثاني فوجدت إرهاصاته عند القدماء وتبلور بوضوح مع ظهور مصطلح الفن للفن، ثم ظهر بأسماء متباينة بعد الهجوم الشديد على هذا المصطلح، فجاءت البنيوية لتضع ركيزته القوية في محاولة لجعله ينهض قوياً في مواجهة الاتجاه الأول، وهذا الاتجاه يفصل الجمال عن الأخلاق، بل يعمل على تعميق الفجوة بينهما، مؤكداً أنَّ الحكم الجمالي حكمٌ خاص منزَّهٌ عن الغرض لا تدخل إليه الأمور الذاتية أو الاجتماعية أو الأخلاقية[70]، بل سعت إلى تخليص الفن من كلِّ القيود والروابط الخارجية والقيم الفنية، الأخلاقية منها والعقلية.

إلا أنَّ تحاشي هذا الانغماس في الشؤون العملية جعلها تعامل الحياة لا بوصفها معركةً بل بوصفها منظراً، ومن ثمَّ كان موقفها من الحياة تأملياً وليس فاعلاً، وهذا الابتعاد عن شؤون الحياة المعاصرة جعلها تكتشف موضوعات جديدة للفن؛ فقد مالت إلى الأساطير والملاحم الحضارات القديمة، وعمدت إلى وصف مظاهر الطبيعة المتنوعة والكائنات الحية، فقد يعاني مجتمع الفنان الجمالي من محنة اجتماعية أو تدهور أخلاقي أو أزمة سياسية؛ مما يستدعي وقوفه موقف اللامبالاة من هذه المشكلات فيهرب من واقعه الاجتماعي المرير إلى واقع آخر يعتمد على الذكريات من وصف الطبيعة أو العودة إلى عمق التاريخ القديم والوقوف على حادثة منه في موقف هروبي واضح.

ويشك الدكتور جعفر الشكرجي في أن يوافق أيُّ دارسٍ الفنانَ الجمالي على هذه النزعة الهروبية من مشكلات مجتمعه؛ بل كيف يستطيع بوصفه إنساناً تجاهل مشكلاتٍ يعيش في وسطها ومن ثمَّ يعاني هو منها؟ وحتى لو افترضنا، كما يقول، أنَّه تمكن من أن ينعزل عن جميع الشؤون العملية المحيطة به في برج عاجي أو قفص ذهبي؛ فإنَّه سيكون بالتأكيد موضع استهجان مادام يجعل القيمة الجمالية وحدها موضع الاعتبار في هذا العالم، في الوقت الذي تتعرض فيه القيم الإنسانية الأخرى للخطر، فهذه النزعة لن تقود الفنان المقيد بها إلا إلى فن يتميز بالسطحية وإلى أدب غير جاد، بل تقيد إبداعه الشخصي بأن تجعله ينتج في العدم ويسقط في التفاهة، كونه كان محروماً من أن يتغذى من المعاني الإنسانية والمضامين الأخلاقية.

ونتيجة اعتماد أصحاب الفن للفن على تغليب الشكل على المضمون لم يتحرجوا من تصوير موضوعات لا يليق ذكرها عادة، وقاموا بتصوير الرذيلة وامتنعوا عن الحكم عليها سلبياً أو إيجابياً، فليس من واجب الفنان أن يصدر حكماً؛ بل أن يبدع فناً[71].

وهذه الحركة لم تكن كما زعم بعضهم تدعو إلى الخروج عن قواعد الأخلاق، وحقيقة الأمر أنَّها لم تتعرض للمشكلة الأخلاقية مطلقاً، وأكّدت أنَّ الفن ينبغي ألّا يحكم عليه من حيث الخير أو الشر، ولا من حيث الصحة والغلط، وإنما يحكم عليه من حيث الجمال والقبح.

وليس صحيحاً ما زعمته الحركة بأنَّ الفن الذي ينطوي على قيم أخلاقية أو إنسانية يضعف مستواه، فنظرة سريعة للأعمال الإبداعية الكبرى في تاريخ الأدب والفن تدحض هذا الزعم، كأعمال الشاعر الروماني فرجيل والشاعر الإيطالي دانتي والروائي الإسباني سرفانتس، والشاعر الإنكليزي شكسبير، والروائي الفرنسي بلزاك، والروائي الروسي تولستوي.

فقد بلغت أعمال هؤلاء المبدعين في الشعر والأدب درجة عالية جداً من الاتقان الفني وخلَّدت عبر الزمن، رغم أنَّها

**[70] - ينظر: الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، ص/ 348.**

**[71] - ينظر: الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ص/ 65- 66. وينظر: وادي، علي شناوة: (فلسفة الفن وعلم الجمال)، ص/49.**

تحمل مُثُلاً أخلاقية عليا، ولا شك في أنَّها كانت تفقد الكثير من قيمتها لو أنَّها خلت من تلك المُثُل الأخلاقية خلاف ما تدعيه مدرسة الفن للفن[72].

ولم يكتب لهذه الحركة الحياة طويلاً بسبب المبالغات التي تضمنتها وما تبعها من وجهات نظر متطرفة، وعلى الرَّغم من ذلك فلها ميزات إيجابية منها: إعادة انتباهنا إلى القيم المتضمنة في الفنون الجميلة، بعد أن كانت تطمس أو تهمل عند أصحاب المذهب الأخلاقي في الفن، وكذلك أسهمت في القرن التاسع عشر من تخفيف الرقابة الأدبية وغيرها من القيود على التعبير الأدبي والفني[73].

**3- جدلية العلاقة بين الجمالي والأخلاقي:**

وثالث الاتجاهات في جدلية العلاقة بين الجمالي والأخلاقي وآخرها، هو الموقف المضمر أو الحيادي، فيظهر بشكل مضمر فكلا الاتجاهين السابقين غير قادر وحده على تفسير هذه الإشكالية بين الجمال والأخلاق فيما لو أغفل الطرف الآخر، وتبني أيَّ اتجاه لم يكن أبداً ليلغي الطرف الآخر، وإنْ كان ظاهر القول عند جُلِّ مَنْ تبنوا أياً من الاتجاهين يكاد يشير إلى خلاف ذلك، فهذه الاتجاهات الثلاثة قد سارت في ركب دروب الاتجاهات الفلسفية كلِّها، باسطة تربتها الخصبة للجميع على السواء.

أما موضوع الرقابة ولمن السيطرة للفن أم للأخلاق، فهو إشكالي أيضاً، وهو محط خلاف منذ القدم، فهل يمكن أن تكون تلك الرقابة مطلقة سواء لسيطرة الأخلاقيين أم أصحاب النزعة الفنية المضادة للأخلاق؟

في حقيقة الأمر لا يمكن أن يظل الفن بلا رقيب، ومن الواجب أن يحكم على الفن وأن يراقب في ضوء تأثيراته في الحياة العامة، وهو أمرٌ بدهي، شأنه شأن كلِّ نشاط بشري آخر، فإذا بلغ ضرر هذه التأثيرات حدَّاً يطغى معه على لذة المتعة الجمالية كان الضبط الاجتماعي في صورة الرقابة ضرورياً، والرقيب المثالي "هو الذي يجمع بين الاحترام العميق للحرية، والحساسية المرهفة للقيم الجمالية للفن، والتقدير الواعي لمصلحة المجتمع"[74].

بيد أنَّ المشكلة المؤلمة في الرقابة هي تلك التي تتعلق بالتنفيذ، بمعنى متى ينبغي فرض الرقابة؟ وإلى أي مدى ينبغي استخدامها؟ وما هي طرائق التنظيم المحددة التي ينبغي استخدامها؟

والمجتمع الواعي لا يؤيد فرض الرقابة على الفن، ذلك أنَّ الخلق الفني نوع حيوي من التعبير عن الذات، وأيُّ عمل من أعمال الرقابة إنَّما هو حدٌّ من الحرية، ولها تأثيرات لاحقة ضارة، وقد تخلق جواً من الرهبة بين الفنانيين يؤدي إلى إماتة الرغبة في الخلق لديهم، ناهيك عن خسارة الاستمتاع الجمالي الذي تخلفه، فالتجربة الجمالية خير في ذاتها كأعظم ما يكون الخير، ولذا فإنَّ حظر عرض عمل فني يحرمنا من فرصة الاستمتاع بالقيمة الكامنة فيه[75].

لكنْ! هل نستطيع إلغاء الرقابة وتدخلها؟ الجواب: لا يمكن ذلك فهي ضرورية للتوازن بين الفن والأخلاق ولا يمكن إلغاء أحدهما أو جعله متسلطاً على الآخر، ومن ثمَّ نستطيع اللجوء إليها لكنْ بحذر وحين الضرورى القصوى.

ذلك أنَّ الأعمال الفنية تجعلنا نفكر بعمق في معتقداتنا الأخلاقية، ومن ثمَّ نتخذ منها موقفاً نقدياً، فالكوميديا كثيراً ما تكشف عن سخافات الأخلاق الشائعة ومتناقضاتها، مثل هذا الفن يحضنا على التماس مُثُل عُلْيا أكثر معقولية وصحة، وبهذا المعنى يقوم الفن بتقديم "أسئلة أخلاقية" لا "إجابات أخلاقية"، فهو، إذن، حافز على الاستثارة الأخلاقية، ذلك أنَّ تأثير الفن يمكن أن يكون ضاراً بقدر ما يكون نافعاً، وثمة طرائق لا حصر لها يستطيع الفن أن يعمل على هدم

---

**[72] - الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، ، ص/ 67.**
**[73] - المرجع نفسه، ص/68.**
**[74] - ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 539.**
**[75] - المرجع نفسه، ص/ 536- 537.**

السعادة الشخصية والاجتماعية؛ فقد يفسد الطبع بين الصغار، ويوجه الدوافع نحو سلوك غير مشروع ومضاد للمجتمع، وقد يشكك في المُثُل العليا ذات الضرورة الحيوية للنظام الاجتماعي، وقد يكون الفن داعية إلى الفتنة أو التخريب في أوقات الأزمات السياسية أو العسكرية[76].

إنَّ مشكلة التوفيق بين مطالب الفن ومطالب الأخلاق مشكلة شديدة الصعوبة، وتكاد تكون مستعصية في بعض الأحيان، فالرقيب المنصف يجمع بين مطالب الفن ومطالب الأخلاق، وهو كالقاضي ينبغي أن يتميز بالنزاهة والبصيرة والتعاطف، وكما يوجد بين القضاة من يتحيز في قراراته يوجد بين رقباء الفن من يتحيز أيضاً للفن أو للأخلاق، فمن الممكن أن يسيء الرقيب وظيفته وأن يستغلها سعياً وراء السلطة الشخصية أو الكسب، ومن أمثلة حماقات الرقابة، كما يرى جيروم، هي اضطهاد اثنين من أعظم الأعمال الفنية، وهما "مدام بوفاري" و"أزهار الشر"، فكانت الرقابة ربما أغبى ماتكون عندما لفتت الأنظار إلى أعمال لو لم يكن الرقباء قد أثاروها حولها ضجة لما التفت أحد إليها "عندئذ تهدم الرقابة نفسها بنفسها، إذ إنَّها تخلق اهتماماً شعبياً بأعمال ضارة أخلاقياً، وعندما يكون هذا الاهتمام كبيراً بما فيه الكفاية فإنَّه يستطيع عادة أن يجد سبلاً للتحايل على القانون"[77].

## خاتمة

بعد بحث جدلية العلاقة بين الجمال والأخلاق توصلنا إلى نتائج عدة نكثفها فيما يأتي:

- جدلية العلاقة بين الجمال والأخلاق جدلية جدُّ معقدة نظراً لتعدد الآراء والاتجاهات التي تناولتها منذ أفلاطون – الذي وضع الجمال في مرتبة أسمى من الحق والخير– وإلى وقتنا الحاضر،
- تختلف العلاقة بين الجمال والأخلاق من مجتمع إلى آخر بحسب ما تسوده من أفكار ومعتقدات وعناصر بيئية وثقافية تدخل ضمن عملية الحكم الجمالي، وهذا ما يجعله حكماً نسبياً يختلف باختلاف المجتمعات والأشخاص والعصور التاريخية.
- ليس ثمة حكم جمالي يتسم بحيادٍ تام، وثمة نزاع جوهري بين ما تتطلبه الأخلاق وما يتطلبه الفن.
- لابدَّ من وجود نظرة توفيقية بين الجمالي والأخلاقي، فلا يمكن للفن أن يكون خادماً للأخلاق، ولكن يمكن للفن أن يُظهرَ الأخلاق أو ينفِّرَ منها بأسلوب غير مباشر.
- يتمتع الفن باستقلال ذاتي وله مطالبه ويخضع لقوانينه ولا يُحكم عليه إلا بمعاييره الخاصة، بمعنى أنَّ الفن غاية في ذاته، ولا يمكن أن تكون وظيفته بث الوصايا والتعاليم الأخلاقية مع عدم غيابها عنه بما تقتضيه رؤيته.

**[76] - ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ص/ 537- 538.**
**[77] - المرجع نفسه، ص/ 540- 542.**

**المصادر والمراجع:**


1- إبراهيم ، زكريا: (كانت أو الفلسفة النقدية)، مكتبة مصر، الفجالة، دون تاريخ.

- Ibrahim, Zakaria: (Kant or Critical Philosophy), Library of Egypt, Al-Fagala, undated.

2- برتليمي، جان: (بحث في علم الجمال)، ترجمة: الدكتور أتور عبد العزيز، مراجعة: الدكتور نظمي لقوا، دار نهضة مصر، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة – نيويورك، 1970م.

- Barthelemy, Jean: (Research on Aesthetics), translated by: Dr. Atour Abdel Aziz, reviewed by: Dr. Nazmi Laqwa, Dar Nahdet Misr, published in association with the Franklin Printing and Publishing Corporation, Cairo - New York, 1970 AD.

3- بيري، رالف بارتن: (آفاق القيمة)، ترجمة: عبد المحسن عاطف سلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1968م.

Perry, Ralph Barton: (Horizons of Value), translated by: Abdel Mohsen Atef Salam, Egyptian Nahda Library, Cairo, 1968 AD.

4- تولستوي، ليف: (ماهو الفن؟) ترجمة: الدكتور محمد عبدو النجاري، دار الحصاد، دمشق، 1991م.

- Tolstoy, Lev: (What is Art?) Translated by: Dr. Muhammad Abdo Al-Najari, Dar Al-Hasad, Damascus, 1991 AD.

5- جاريت، أ.ف: (فلسفة الجمال)، ترجمة: عبد الحميد يونس ورمزي يسّى وعثمان نوية، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ.

- Jarrett, A.F.: (The Philosophy of Beauty), translated by: Abdul Hamid Younis, Ramzi Yassa, and Othman Nawiyah, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, undated.

6- ستولنيتز، جيروم: (النقد الفني: دراسة جمالية)، ترجمة: د. فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006م.

- Stolnitz, Jerome: (Art Criticism: An Aesthetic Study), translated by: Dr. Fouad Zakaria, Dar Al-Wafa for the World of Printing and Publishing, Alexandria, 2006 AD.

7- ستيس، ولتر: (فلسفة هيجل)، ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة، القاهرة، 1980م.

- Stace, Walter: (Hegel's Philosophy), translated by Dr. Imam Abdel Fattah Imam, House of Culture, Cairo, 1980 AD.

8- الشكرجي، جعفر: (الفن والأخلاق في فلسفة الفن)، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م.

- Al-Shakarji, Jaafar: (Art and Ethics in the Philosophy of Art), Dar Houran for Printing, Publishing and Distribution, Damascus, 2002 AD.

9- الصباغ، رمضان: (الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 1998م.

- Al-Sabbagh, Ramadan: (Evaluative rulings on beauty and morals), Dar Al-Wafa for the World of Printing and Publishing, Alexandria, 1998 AD.

10- العشماوي، محمد زكي: (فلسفة الجمال في الفكر المعاصر)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

- Al-Ashmawi, Muhammad Zaki: (The Philosophy of Beauty in Contemporary Thought), Dar Al-Nahda Al-Arabi, Beirut, 1981 AD.

11- غويو، جان ماري: (مسائل فلسفة الفن المعاصرة)، ترجمة: سامي الدروبي، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، 1948م.

- Goyot, Jean-Marie: (Issues of Contemporary Philosophy of Art), translated by: Sami Al-Droubi, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Egypt, Cairo, 1948 AD.

12- كروتشه، بنديتو: (المجمل في فلسفة الفن)، ترجمة: سامي الدروبي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م.
- Croce, Benedetto: (The Outline in the Philosophy of Art), translated by: Sami Al-Droubi, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1947 AD.

13- مطر. أميرة حلمي: ( مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن)، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1994م.
- Rain. Amira Helmy: (Introduction to Aesthetics and the Philosophy of Art), Dar Al-Maaref, Egypt, Cairo, 1994 AD.

14- وادي، علي شناوة: (فلسفة الفن وعلم الجمال)، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2011م.
- Wadi, Ali Shinawa: (Philosophy of Art and Aesthetics), Pages for Studies and Publishing House, Damascus, 2011 AD.

15- نظمي سالم، محمد عزيز: (الفن بين الدين والأخلاق)، قراءات في علم الجمال حول الاستطيقا الإستطيقا النظرية والتطبيقية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995م.
- Nazmi Salem, Muhammad Aziz: (Art between Religion and Morals), Readings in Aesthetics on Theoretical and Applied Aesthetics, University Youth Foundation, Alexandria, 1995 AD.

16- هاوزر، أرنولد: (الفن والمجتمع عبر التاريخ)، ترجمة: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م.
- Hauser, Arnold: (Art and Society Throughout History), translated by: Fouad Zakaria, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1981 AD

17- هويسمان ، دينس: (علم الجمال الأستاطيقا) ترجمة: أميرة حلمي مطر، مراجعة: أحمد فؤاد الأهواني، دار الكتب العربية، القاهرة،1959م.
- Huisman, Dennis: (Aesthetics) Translated by: Amira Hilmi Matar, Reviewed by: Ahmed Fouad Al-Ahwani, Dar Al-Kutub Al-Arabiyya, Cairo, 1959 AD.

18- يشار، أندريه: (النقد الجمالي)، ترجمة: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، 1974م.
Yashar, Andre: (Aesthetic Criticism), translated by: Henry Zogheib, Oweidat Publications, Beirut, 1974 AD.